٤٣ خطبة الكسوف

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمِدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون: إن الله عَزَّوَجَلَّ بقدرته وعظمته سخر الشمس والقمر دآئبين يسيران بنظام بديع وسير سريع لا يختلفان علوًا ولا نزولًا ولا ينحرفان يمينًا ولا شمالًا ولا يتغيران تقدمًا ولا تأخرًا عما قدر الله تبارك وتعالى

لهما في ذلك ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل٨٨].(١)

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ ﴾[إبراهيم٣٣].

وقال تعالى : ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ﴾[الرحمن٥].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف٥٤].

وقال تعالى : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾[الأنعام٩٦].

وقال تعالى :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الرعد٢].

وقال تعالى :﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[الأنبياء٣٣].

وقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [لقمان٢٩].

---

(١) الضياء اللامع (٢/ ٤١١) لابن عثيمين.

وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت٣٧].

إلى غير ذلكم من الآيات فالشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده، فعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كسفت الشمس على عهد رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم مات إبراهيم فقال : الناس كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: [**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله**]. (١)

وفي صحيح البخاري (٢) عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنا عند رسول الله ﷺ فانكسفت الشمس فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى دخل المسجد فدخلنا فصلى بنا ركعتين حتى انجلت الشمس فقال ﷺ : [**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ، فإذا رأيتموهما فصلوا ، وادعوا حتى يكشف ما بكم**].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : [**إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا**]. (٣)

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: خُسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ بالناس فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ،

(١) البخاري برقم (١٠٤٣) ومسلم برقم (٩١٥).
(٢) البخاري برقم (١٠٤٠).
(٣) البخاري برقم (١٠٤١) ومسلم برقم (٩١١).

ثم قام فأطال القيام ، وهو دون القيام الأول ، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد فأطال السجود ثم فعل في الركعة الثانية مثل ما فعل في الأولى ، ثم انصرف وقد انجلت الشمس ، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: [**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا**] . ثم قال: [**يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ، ولبكيتم كثيرًا**] [1] .

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فصلى رسول الله ﷺ فقام قيامًا طويلًا نحوًا من قراءة سورة البقرة ، ثم ركع ركوعًا طويلًا ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد ثم قام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول ، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ، ثم رفع فقام قيامًا طويلًا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعًا طويلًا وهو دون الركوع الأول ثم سجد ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال ﷺ : [**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله**] . قالوا يا رسول الله: رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك كعكعت ؟ ، قال : ﷺ [**إني أريت الجنة فتناولت عنقودًا ، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، وأريت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء**] . قالوا بم يا رسول الله ؟ قال: [**بكفرهن**] . قيل يكفرن بالله ؟ . قال: [**يكفرن العشير ويكفرن الإحسان ، لوأحسنت إلى أحداهن الدهر**

(١) البخاري برقم (١٠٤٤) ومسلم برقم (٩٠١).

كله ثم رأت منك شيئًا ، قالت : ما رأيت منك خيرًا قط] [١] .

عباد الله: إنه يجب علينا أن نتعظ بهذه الآيات وأن نخاف من عقاب الله وعذابه فالله تبارك وتعالى يخوف عباده بهذه الآيات ليتقوه ويخشوا عذابه قال الله تعالى :﴿ ... وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩].

فما هذه الكسوفات والآيات إلا إنذارًا للعباد وتذكيرًا لهم ، لعلهم يحدثون توبة ورجوعًا صادقًا إلى الله ، ولذلك أمر النبي ﷺ الناس عند حصول الكسوف بالفزع إلى الصلاة والدعاء ، والصدقة والعتاقة والذكر، وأمر أصحابه أن يتعوذوا من عذاب القبر.

قال ابن المنير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : التعوذ عند الكسوف أن ظلمة النهار بالكسوف تشابه ظلمة القبر ، وإن كان نهارًا والشيء بالشيء يذكر ، فيخاف من هذا كما يخاف من هذا ، فيحصل الاتعاظ بهذا في التمسك بما ينجى من غائلة الآخرة. [٢]

إخوة الإيمان والعقيدة: لقد كثر الكسوف في هذا الزمان ، وما ذلك إلا لكثرة الفتن وانتشار الفساد في الأرض ، فالواجب الحذر من الذنوب والمعاصي ، فإنها سبب للشقاء والبلاء في الدنيا والآخرة .

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتـــررت بها وعند صفوالليالي يحدث الكدر

قال بعض العلماء: إياك والمعصية ، فقد تكون سببًا لتوقف الرزق.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومن عقوباتها ـ أي المعصية ـ أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة فتزيل الحاصل وتمنع الواصل ، فان نعم

(١) البخاري برقم (١٠٥٢) ومسلم برقم (٩٠٧).
(٢) فتح الباري (٢/ ٦٢٥).

الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته ولا استجلب مفقودها بمثل طاعته.[١]

وقال بعض السلف: أذنبت ذنبًا فحرمت قيام الليل سَنة.

وقال آخر: أذنبت ذنبًا فحرمت فهم القرآن.

وقال آخر: إني لأعصي الله فأجد ذلك في خلق دابتي وامرأتي.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن ينفعنا وإياكم بهذه المواعظ وإلا فالأمر كما يقول سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لم تنفعه قليل الموعظة لم يزدد بكثيرها إلا شرًا.

بعنا النفوس فلا خيار لبيعنا أعظم بقوم بايعوا الغفارا

رب اعطنا ثمنًا ألذ من المنى جنات عدنٍ تتحف الأبرارا

اللهم سلمنا من عذابك ، وآمنا من عقابك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين والمسلمات ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وصل إلهي كلما لاح بارق وما مطرت سحب وما قهقه الرعد

على المصطفى أزكى البرية كلهم صلاة مدى الأيام ليس لها عد

اللهم صلِ عليه وعلى آله وأصحابه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

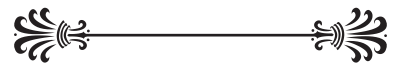

(١) الجواب الكافي ص (١٣٨).